وقفة على الحركة الادبية عقب ثورة ١٩٢٤ الى استقلال السودان، منابعها، اهدافها وخصائصها

عبد الرحمن عبد الرءوف الخانجى

على مر العصور ظل الأدب ــ ولايزال ــ مرآة للمجتمع ، وجنينا شرعيا لما يعتريه من احداث سياسية واقتصادية وفكرية • ولانعدو الصدق اذا قلنا بأن أدب هذه الفترة فى تاريخ السودان ــ شعرا ونثرا ــ يحكى احداثها اصدق حكاية •

لعبت الأحداث السياسية ــ عن عمد ودون عمد ــ دورا كبيرا فى بلورة أدب هذه الفترة ، واهم حدث سياسى بلور شكل الأدب السودانى فى هذه الفترة ، ما صاحب نكسة ١٩٢٤ من نتائج مباشرة وغير مباشرة • فاجراءات القمع والارهاب والتعسف من قبل السلطات الحاكمة ــ كرد فعل على حركة المثقفين ودورهم فى وثبة سنة ١٩٢٤ جعل الناس ــ كل الناس ــ والشعراء والكتاب على وجه الخصوص،يطوون جوانحهم على جرح راعف ويعلكون فى اسى وصبر جراحات الهزيمة • ومن ثم انعكس هذا الشعور والاحساس على نتاجهم الأدبى ، بل وخلق قمما بعينها استشرفها أدب هذه الفترة • والأدب ــ فى كل زمان ومكان ــ هو الملاذ دائما لهدهدة الآلام والمتنفس لانطلاقات الطاقات المكبلة وفى الشعر والنثر ما يروح من حدة المعاناة والصراع • وقد ادرك أدباء تلك المرحلة هذه الحقيقة وعبروا عن هذا الصراع فى أدبهم • كما أدركوا ان انفتاحهم على المعرفة والثقافة هو النضال الحقيقى ضد المستعمر ، الذى يعلم ما للعلم من قيمة فى صنع الثورات ضده ، فسعى يتعقب المثقفين ويضيق عليهم • بل مضى ابعد من ذلك « ابو ان يفتحوا مدارس جديدة بعد ان اغلقوا ابواب المدرسة الحربية ومدرسة وكلاء المآمير ومدرسة العرفاء التى تخرج مدرسي المدارس الأولية ، حتى لا تفتح مدرسة جديدة وسلطوا الاضواء الكاشفة على هذه الحفنة القليلة المتعلمة يتعقبونهم ويترصدونهم ولم تكن كلية غردون القديمة تقدم تعليما يذكر

بقـدر ماتعد موظفين ليؤدوا الدور الضئيل الذى أعـد لهم فى مكاتب الحكومـة . » (١)

منابعهـــا :

ابتعد جيل هذه الفترة ــ الى حد ما ــ عن الثقافة الدينية واللغوية التى نشأ عليها الجيل السابق،واعانه على ذلك أن تلقى تعليما مدنياً نظامياً اتاح له الانفتاح على الثقافة الغربية والالتقاء بها فى اصولها ، ليس هذا فحسب بل « التفت الجيل الجديـد الى مصر .... وكان مـن هؤلاء مجددون يتحدثون عن كولردج و وردث ورت وشلى ونظرائهم فى الآداب الاوربية المختلفة وكانوا مدارس فتعلقوا باشدها تجديدا واقدرها عـلى الأخذ والاقتباس من اروبا ... » (٢) ولم يكن هـذا العمل سـهلا وميسورا « الم يحرم علينا أن نقرأ الصحف والمجلات الأدبية ! وكم من عنت لقينـا وكم اصابنا من لغوب ونحـن نحاول ان ندس جريـدة السياسة الاسبوعية والبلاغ الاسبوعى والهلال ... » (٣)

بهذه الثقافة الجديدة التى اكتسبها الجيل الصاعد اتسمت هـذه الفترة بنوع مـن الصراع الحاد بين جيلين : الجيل المحـافظ والجيـل الجديد . فقد اعتبر المحافظون الاتجاه للثقافة الغربية رمزا للانتكاس والخيانة وتنكرا للاسلام والعروبة . وكان على المجددين ــ لدرء هذه الدعوة ــ ان يعملوا على توضيح موقفهم من هـذه الثقافة الجديدة وبأنها ــ فى نظرهم ــ معبر يقود الى تحقيق نهضة وطنيـة شاملة تنتهى بالتحرر السياسى والثقافى معا .

وهذا الصراع بين المحافظين والمجـددين اتخـذ مسارين : الاول سار برغبة جادة فى الانتاج والكتابـة والاقتـداء بمصر ، والثانى وقف امام الكهولة واشباه المشايخ فى صلف وتحد وتنكر للحضارة الموروثـة وقلد تقليدا اعمى الحضارة الغربية .

---

(١) دراسات فى شعر التجانى : ص ٩ .
(٢) الاتجاهـات الحديثة فى النثر العربى فى السودان : ص ٢٧ .
(٣) موت دنيا ص ٤٨ :

وبذلك ظل هذا الصراع يمثل نقاط القوة والضعف معا فى تاريخ الوعى السودانى ، ايجابا وسلبا • والاندية العلمية والادبية فى هذه الفترة لعبت دورا هاما فى تنشيط الحركة الأدبية والفكرية بالبلاد • ففى هذه الأنديه عقدت مناظرات متعددة نوقشت فيها مسائل هامة جدا ، مثل موضوع الثقافة السودانية وصلاتها بمصر ، وهل تقوم منفصلة بذاتها ام فى اطار الثقافة المصرية • وغير ذلك من المواضيع ذات الصبغه القومية ، هذا بجانب احتفالها بالشعر والبحوث التى تتناول تاريخ السودان وعادات اهله وتقاليدهم •

وقد حملت الصحف والمجلات السودانية التى بدأت فى الظهور فى تلك الفترة عبء التعليم والتثقيف • فصدرت مجلة النهضة السودانية وهى أول مجلة سودانية تجمع بين الأدب والتاريخ والمعارف الأخرى • ثم مجلة الفجر التى بلورت شكل الثقافة السودانية فى هذه الفترة الى حد كبير • ولم يقف المد الفكرى عند الأدب والعناية به ، بل اتجه الى نقد المجتمع ومختلف قطاعاته مبينا عيوبها ومثالبها داعيا الى الطريق القويم اذ « أول مايروعك من المجتمع السودانى هذا التفكك البادى فى أوصاله الشائع الملموس بين افراده وهذا الهزال الذى اعتراه منذ أمد ليس بالقصير فترك لونه شاحبا وكاد يقطع ما بينه وبين الحياة من صلة ••• » (١) وقد ادرك شباب ذلك الجيل ما يراد منه نحو أمته تماما ، فدعا كافة الشباب الى العمل والمشاركة الجادة فى بناء المجتمع اذ أن « بلادنا هذه لن تخطو خطوات ثابتة نحو المجد الحقيقى الا اذا انتبه الشباب الى انفسهم وكونوا لهم جمعيات ذات برامج واسعة واغراض واضحة ••• » (٢)

فى مثل هذا المجتمع بدأت تطالعنا دعوات جديدة تظهر لأول مرة وقضايا تثار كانت من قبل لا تخطر على بال • فقامت الدعوة الى تغيير نظرة المجتمع للمرأة والعمل على تعليمها حتى تتحرر من كثير من العادات

---

(١) مجلة الفجر /١/ ص ١١٣ .
(٢) مجلة الفجر /١/ ص ٢٦٤ .

المعوقة والتى مردها الى الجهل والخرافة والوهم • وصـال فى هـذه الحلبة المحافظون والمجددون شعرا ونثرا •

والتعليم العصرى حظى بقدر كبير من اهتمام ذلك الجيل اذ « ان كل ما نراه من نقص فى بيئتنا وما نلاحظه من عيـوب فى أدبنا وثقافتنا وبالاحرى مجتمعنا وجميع مرافق حياتنا ان هو الا رهين اساليب التعليم عندنا وضيق نطاقه •••• » (١) • فنقدوا مراحل التعليم والمناهج التى تدرس ، كما اوضحوا البديـل الذى يريدونه وسـعوا الى العمـل الجماعى من أجل نهضة تعليمية ، ويعتبر تأسيس المدرسة الأهلية سـنة ١٩٢٦ بامدرمان اللبنة الأولى فى بناء صرح التعليم الأهلى • كما اتخذوا موقفا من التعليم العالى وصار أملهم فى الحياة « أن يتوفر لنا التعليم العالى فمدرسة للحقوق ومدرسة للزراعة ومدرسة عليا للهندسة لا محيد عنها لمستقبل هذه البلاد • ولقد آن الأوان ليعطى السودانى فرصـا احسن فى حكومة بلاده والتعليم العالى هو السبيل الوحيد لتحقيق تلك الفـرص • » (٢)

والبعثات الخارجية لعبت دورا هاما فى نهضة ذلك الجيل الفكريـة والأدبية ، اذ ان هؤلاء المبعوثين عادوا للتدريس فى كلية غردون مما كان له أثر كبير فى تفتح طلبتهم على آفاق جديدة من العلم تغنى العدل والحرية والمساواة • وقـد عمـل الطـلاب على الهـرب الى الخارج ـ وخاصة مصر ـ طلبا للعلم ، الا أن السلطات الحاكمة اعتبرت هـذا الضرب من العمل تطرفا سياسيا يعاقب مرتكبوه ومن يحيطون بهم من اهل واصدقاء « •••• فاستقبلنا خبر ذهابهم الى مصر وقـد اضطربت الكلية لهذا الحادث وازداد الضغط والتعنت •••• واذا التحقيـق يدور مع البعض الآخر ممن كانوا وثيقى الصـلة بمـن سافروا » (٣) وقد دعوا لخلق ضمانات لهؤلاء العائدين من الخارج بل ان « واجب

---

(١) مجلة الفجر /١/ ص ٤٧١ •
(٢) مجلة الفجر /١/ص ١٠٢٢ •
(٣) موت دنيا ص ٧٦ :

الحكومة ان تسهل لهم كل الطـرق ليعودوا الى وطنهم وان تعطيهم من الوظائف ما يليق بدرجاتهم العلمية فتيسر لهم بذلك خدمة وطنهم » (١)

ومن اميز سمات هذه الفترة ظهور الدعوة للقومية السودانية ،وقد ترجمت هذه الدعوة الى واقع ملموس عندما رفض طلبة غردون تسجيل اسماءقبائلهم واجابوا بأنهم «سودانيه» •ومضوا ينمون هذا الشعور مدركين حقيقة انهم « فى بلد كادت القومية ان تفقد معناها بين اهله ونزلائه وذلك واضح فى مجتمعنا وفى لغتنا وفيما نكتبه من شعر ونثر • فلقـد تعددت قبائلنا حتى مللناها وضاق المتعلمون منابها ذرعا •••• » (٢)

هذه الافكار الجديدة على المجتمع السـودانى فى مجـال الأدب والدين والاجتماع والفلسفة أثرت على كثير من النفوس فاحدثت نوعـا من القلق والحيرة كان طابعا لكتابات هذه المرحلة وشعرها • فلا احـد يخطىء هذا الاحساس المشوب بالصراع بين الموروث من عادات وتقاليد وثقافة وبين المكتسب من قراءات ومشـاهدات • وقـد يكون لظهور النزعة المثالية فى هذه الفترة ودعوات الحب والخير والجمال رد فعل لهذا الصراع القائم بين المـوروث والمكتسب • ومـن كـل ذلك وضـعوا لانفسهم مثلا أعلى لما يرونه من حياة مقبلة تقـوم على « أسرة صحيحة تديرها امرأة متعلمة وان يعـرف الشـباب واجباتهم قبـل ان يطالبوا بحقوقهم وان تتحد كلمتهم وان يفنى نظام القبائل وان يتقـدم الكهول والشيوخ الى ميدان العمل ويحملوا علم الجهـاد وان يضحوا بالبقيـة الباقية من ايامهم وحياتهم فى سبيل الله والوطن » (٣)

أهـــــدافها :

كانت ترمى هذه النهضة الى بث الوعى القومى فى النفوس وتنشئة الشـباب المثقف على الـروح الفنية الصحيحة مـع نشر الدعـوات

---

(١) مجلة الفجر /٢/ ص ١٠٢ .
(٢) مجلة الفجر /١/ ص ٣٢٩ .
(٣) مجلة الفجر /١/ ص ٥٢٢ .

الاصلاحية والاجتماعية المختلفة (١) وقد اعتلى دعاة هذه النهضة « منابر الصحافة والاندية والمجتمعات يعلنون فيها عن آراء أدبية قيمة وينتجون فيها آثارا فنية جديرة بالتقدير والاعجاب • نقلوا الى السودان آداب الامم الأخرى ودعوا الى أدب سودانى قومى وتفنن الشعراء منهم فى صياغة تجاربهم وانشاء الاساليب ••• » (٢) كما نهضت القصة القصيرة على صفحات النهضة والفجر وبلغت درجة ملحوظة من الاداء الفنى ، وظهر نقاد على قدر كبير من الوعى والايمان برسالتهم وطرق ادائها •

وأدب تلك الفترة رغم تأثره بالآداب الغربية لم يكن فى جملته تقليدا أو محاكاة لما فى الصحافة المصرية آو كتب المؤلفين المصريين بل اتسم بقدر من الاصالة غير قليل • ويمكن ان نقسم الحركة الأدبية الى مرحلتين : الأولى : عقب ثورة سنة ١٩٢٤ الى سنه ١٩٣٦ حيث كان للأدب نصيب وافر من اهتمام ذلك الجيل • والثانية : بعد قيام مؤتمر الخريجين • وفيها طغت السياسة على الأدب « وربما كان من الحكمة وسداد الرأى ان يفسحوا للثقافة السياسية طريقا فى حياتهم الفكرية » (٣) •

كان من اهداف النهضة الأدبية فى تلك الفترة خلق أدب سودانى خالص حتى « يقال عندما يقرأ شعرنا من هم فى خارج السودان أن ناحية التفكير فى هذه القصيدة تدل على أنها لشاعر سودانى • هذا المنظر الطبيعى الجليل موجود فى السودان • هذه الحالة هى حالة السودان • هذا الجمال هو جمال نساء السودان •••• » (٤) ودار صراع حول تبعية الثقافة السودانية للمصرية والى اى حد يبلغ التأثير والتاثر • وتطرف بعض الأدباء ونادى بخلق أدب سودانى خالص لأن

(١) دراسات سودانية ص ٥٦ .
(٢) نفسه ص ٥٥ .
(٣) دراسات سودانية ص ٥٧ .
(٤) الأدب السودانى ص ٥١ .

تخيلات السودانيين واحلامهم وأمانيهم غير تخيلات واحلام وامانى الامم الاخرى . » (١) ورغم سذاجة هذه الفكرة عنت الصحف بترجمة تراث الغرب ونقل آثاره .

وسارت الحركة الأدبية تعالج قضايا تتصف بشمولية التفكير مثل موضوع الفن للفن والفرق بين العلم والأدب وبين الشاعر والنقاد . كما وقفوا عند الأدب العربى وكتبوا عن ابن الرومى وابى العلا وبشار ووقفوا عند التصوف واعلامه بجانب دراساتهم للشعراء : سودانيين ومصريين ، لسان حال نهضتهم فى ذلك دعواهم « فان كنا نطمع فى أن تتم هذه الحركة ونجعل لها قيمة تمتاز بها فى تاريخ الأدب العربى ، وجب تنشئتها قوية الأساس متماسكة الأطراف . وذلك بأن نعالج كل فن من فنون الأدب المعروفة دون الأخذ بالبعض واهمال البعض الآخر .... » (٢) .

الشعر :

نقسم هذه الفترة الى مرحلتين الأولى عقب ثورة ١٩٢٤ الى اواسط الثلاثينيات . والثانية عقب هذه المرحلة الى استقلال السودان .

المرحلة الاولى : الشعر التقليدى :

فى هذه المرحلة ظل الشعر فى قوالبه التقليدية من ناحية المواضيع والصياغة . فهو شعر رصين اللفظ صحيح من العيوب اللغوية والعروضية ، ينظر باعجاب وتقدير شديدين الى مدرسة البارودى وشوقى . وهذه المرحلة تنقسم الى مجموعات ثلاث تتباين ثقافة واتجاها وان التقت فى السمات العامة لهذه المرحلة التقليدية : ـ

المجموعة الأولى :

يمثلها كل من الشعراء عبد الرحمن شوقى ، وعبد الله عبد الرحمن، وعبد الله البنا . نشأوا جميعهم نشأة دينية ، ولهذا نظروا الى المجتمع

---

(١) مجلة الفجر /١/ ٨٦٤ .
(٢) مجلة الفجر ص ١٢ .

السودانى بمنظار الاصلاح بقيادة الافغانى ومحمد عبده • فنادوا من هذا المنطلق بالعودة الى المثل والمبادىء التى رسمها العرب المسلمون أيام عزهم وحضارتهم ومجدهم ، تلك المثل والقيم التى اتاحت لهم السيطرة على العالم العربى بأسره • فى ضوء هذه النظرة عددوا أدواء المجتمع وشخصوا ما فيه من علل وسخطوا على ما به من ضعف وانحلال وفساد وجهل • (١) واتخذوا من المناسبات الدينية والقومية منبرا للجهر بدعوتهم وافكارهم • فهذا عبد الرحمن شوقى يردد فى ذكرى المولد النبوى الكريم : ــ

نديمى من سلاف الخمر هات ... وشنّفنى بذكر الماضيات
أترضى ان اضام وانت حر ... وتسمح ان تلين لهم قناتى
فحدث عن بنى النيلين قوما ... بأدنى النيل أو اعلا الفرات
بانا ننتمى حسبا ومجدا ... الى من بالجزيرة من رفات (٢)

وللشاعر البنا القدح المعلى بين هذه المجموعة ، فقد تعددت ميادينه بالاضافة الى حصيلته من التخميس والتشطير • ومن أشهر قصائده التى نعى فيها على المجتمع ما اصابه من ضعف وانحلال على ايدى رجال الدين ، قصيدته التى مطلعها : ــ

ياذا الهلال عن الدنيا او الدين ... حدث فان حديثا منك يشفينى

وفيها ينعى على المجتمع قائلا : ــ

يا أمة جهلت طرق العلا فلم ... تسبق لغاية معقول ومخزون
فللمدارس هجران وسخرية ... وللمتاجر ضعف غير موزون
والناس فى القطر اشياء ملفقة ... فان تكشف عن ضعف وتوهين
فمن غنى فقير فى مروءته ... ومن قوى بضعف النفس مرهون
ومن طليق حبيس الرأى منقبض ... فاعجب لمنطلق فى الارض مسجون (٣)

---

(١) فى الشعر السودانى ص ٤٦ .
(٢) شعراء السودان ص ٢٠٠ : ميخائيل سعد .
(٣) نفسه ص ٧١٢ •

واسلوب هذه المجموعة من الشعراء يتسم بالرتابة على وجه العموم تكسوه مسحة ظاهرة من المنطق تلبسه ثوبا من الوقار اللفظى فى اطار من التقريرية والمباشرة والخطابية ، وربما كان ذلك اثر لالقاء الشعر فى المحافل وامام جمهور غفير •

المجموعة الثانية :

تضم تحت لوائها توفيق صالح جبريل وصالح عبد القادر ومكاوى يعقوب وحسيب على حسيب • وردوا جميعهم منهل التعليم المدنى وبعدوا شيئا عن الثقافة الدينية والدعوات الاصلاحية • يجمع بينهم انهم شعراء مدن يدور جل شعرهم عن مجالس أنسهم وسمرهم ورسائلهم • ويمتاز شعرهم بمسحة ثورية اكتسبوها خلال عملهم السياسى فى الجمعيات السرية ، وثورتهم عموما بعيدة عن مجال الاصلاح الدينى ، تصب جام غضبها على المستعمرين (١) • يقول توفيق صالح جبريل :

ايها القوم لا تجروا الذيولا ... يأنف الحر ان يعيش ذليلا
فقبيح أن نرتضى الذل دهرا ... ونرى ما لنا لكم مبذولا
كل يوم تبدون ثوبا جديدا ... من دهاء فحسبكم تبديلا

كذلك ثاروا على الزمان الذى اختل فيه ميزان القيم ، فمنح من لايستحق نصيبا مبذولا ، وحرم كل مستحق حقه ، وضاع فيه اهل المواهب والعبقريات التى مهبطها السماء • يقول صالح عبد القادر ناعيا حظه فى مثل هذا الزمان : —

نفد الصبر وحظى ... اغمض العين ونامـا
حالف الجهال لكن عن ... ذوى الحظ تعامى
فهو عندى حاكم يظلم ... لا يخشى الملامـا
يهضم الحق ولم يرع ... حلالا أو حراما
فالى كم يعلن الدهر ... قتالا وخصاما

---

(١) فى الشعر السودانى ص ٤٨.

ورغم ثورتهم طغى على شعرهم احساس حـاد بالغربة والحنين ، حنين بعضهم الى بعض حين فرقت بينهم الأيام • شعور بالغربة الروحية وهم داخل اوطانهم • ومن هنا كثر فى شعرهم ذكر مجالسهم وما بها من صبوات كمخرج ومهرب التمسوه عله يخفف حدة المعاناة • يقول توفيق صالح جبريل مخاطبا الشاعر خليل فرح فى مجلس ضمهم : ــ

سبـح بعودك تسـبح ... الارواح فى دنيـا النغم
واعطف عليـه فان فى ... اعماقه معنى القـدم
مالى احـاول صـدها ... فتعـود ذكراهـا الىّ
وتلـوح لى فاردهـا ... فتطل من قلبى عـلىّ
غـرد بعـودك هـا هى ... الاسحار تنصت والحياة
واعطف عليه فـان فى ... أنفاسه معنى الحيـاة

أما المجموعة الثالثة :

والتى يمثلها الشاعر محمد سعيد العباسى فلها اتجـاه ينحو منحى الروحانية والبطولة معا يغذى روافده من منابع الشـعر العربى القديم • ودراسة هذا الشاعر تكشف بوضوح خصائص هـذه المجموعـة مـن الشعراء • فقد التحق العباسى بالكلية الحربية جريا وراء حيـاة البطولة التى ينشدها ، ثم حاول ان يتمثل هذه الحياة وما قـرأه عنها فى شعر القدماء بكل ما فيها من مخاطر واهوال وشجاعة وصبر • ومن هنا حفل شعره بالأسى والتحسر على عالم اليوم الذى ماتت فيه بطولات الامس ، آملا عودة تلك الأيام بكل ما فيها من روعة ، ممتشقا سيفه ، يهـدد الزمان تارة وضعاف النفوس أخرى : ــ

ساصفح عن هذا الزمـان وما جنى ... متى ظفـرت كفاى منـه بماجـد
وان القه بعت الحيـاة رخيصـة ... وآثرتـه باثنين سيفي وسـاعدى
كفى بذباب السيف خـلا فانـه ... لدى الروع أحفى من خليل مساعد

وقد التمس العباسى متنفسا لضيق نفسه وبرمه بمجتمعه فى الحنين الى البادية والحنين الى ايام الصبا ، وايام مصر على وجه الخصوص :ــ

آه لو كان لى بســـاط الريح أوافيـه أو قـــوادم نســـر
فاطـــير إلى مصر اشتياقا انها للاديـــب احســن مصر
حيث روض الهنا ومجتمـــع الاهـواء والســرور لمستدر
هل الى مصر رجعة بنا وشرخ شـــباب غض وزهـــرة عمر

ونخلص الى ان ميزة المجموعات الثلاث من النهج التقليدى ، حفظ التراث العربى مع الاحتفال بروعة الصياغة الشعرية وسـلامة اللغة (١) فشعرهم يبلغ درجة عالية من الجودة من حيث الاسلوب وان قعد بـه الخيال والاحساس والصور المكررة المعادة .

حـــركة التجـــديد :

حمل لواء هذه الحركة جيل الثلاثينيات ، فقد انتبه الشعراء الى لون جديد من الشعر يهتم بالعواطف والاحاسيس اكثر مـن اهتمامه بالصياغة اللفظية . فاقبلوا على مدرسـة العقاد يتدارسـون دعوتهـا الجديدة فى عالم الأدب والشعر ، كما نظروا الى شعراء المهاجر ودعواتهم الى التجديد فى الشكل والمضمون . وصادف ميلاد هذا الجيل ظهـور الاتجاه الرومانسى فى الأدب العربى ، فتأثر به هؤلاء الشعراء من خلال قراءتهم الكثيرة ، ووجد الاتجاه الجديد فى نفوس هذا الشباب بذرة صالحة للنمو ، ومن هنا التقوا مع الرومانسيين فى كثير من خصائصهم . وانقسم الاتجاه الرومانسى الى قسمين : الأول اعلنها ثورة صاخبة على كل موروث وتقليدى . والثانى التجأ الى ذات نفسه وما يحيط بهـا من مظاهر طبيعية يلتمس العزاء والسلوان .

واوسع مجـال صب فيه الاتجـاه الاول ثورته كـان مجـال السياسة ، وخاصة بعد قيام مؤتمر الخريجين العام . ثاروا على الشعراء

(١) فى الشعر السودانى ص ٥٢ .

التقليديين الذين مدحوا الحكام الانجليز واشادوا بهم ، وثاروا ـ بداهة ـ على المستعمر فى حنق وغضب : ـ

سنأخذ حقنا مهما تعالوا ... وان نصبوا المدافع والقلاعا
وان هم كتموه فليس يخفى ... وان هم ضيعوه فلن يضاعا
بغى فاعد للاحرار سجنا ... وصير ارضنا سجنا مشاعا
هما سجنان يتفقان معنى ... ويختلفان ضيقا واتساعا (١)

والمخدرات الدستورية من جمعية تشريعية الى مجلس استشارى استأثرت بنصيب وافر من ثورة الشباب وتنبيه الشعب الى ما فيها من ضلال وزيف وخداع : ـ

لا نرعوى بأباطيل ملفقة ... فيها علالات اطفال وصبيان
المجلس الآفل (الشورى) حدثنا ... بأنه (وابا التشريع) صنوان
فذاك اسفر عن ضعف ومهزلة ... وذا سيسفر عن عار ونقصان
ان قام فهو كعميان يسير على ... عكازة ويحه من مرهق عان
يمشى فيعثر لا الاقدام ثابتة ... ولا المسير بميسور لعميان (٢)

وفى هذه الفترة لعب بعض الشعراء دورا فى الدعوة للاتحاد مع مصر ، كما وقف بعض الشعراء ضد هذه الدعوة وعلى وجه العموم كانت مصر سوقا رائجة لمعظم الشعراء ، بل كانت اشبه بالحلم أو المخلص الرومانسى لهؤلاء الشباب وهو ما يعرف (بالاغتراب المكانى) ومصر فى هذه الفترات اثرت الأدب كثيرا ، اذ ان الاحتفال بمصر لم يقف عند مجال السياسة وحدها بل شمل مؤسساتها التعليمية وثقافتها وأدبها وشعرها : ـ

ذهب الرفاق الى الكنانة ... مسرح الأدب الرحيب
كل يقول لنفسه قد ... جئت مصر اذن فطيبى
حققت احلام الشباب ... وجئت فى روح الأديب
فى كعبة العلم المباح ... لكل ابناء الجنوب (٣)

---

(١) لحظات باقية ١٣ :
(٢) حرية وجمال ص ١٨ .
(٣) من وادى عبقر ص ٧٤ .

ومن الموضوعات التى شملتها حركة المجـددين فى هـذه الفترة الرجوع الى بطولات التاريخ السودانى واستلهامها منطلقا يطلون منه على تاريخهم المعاصر • فاكثروا الحديث عن الثـورة المهدية والامـام المهدى ، كما أشادوا بثورة سنة ١٩٢٤ وابطالها ودورهم الخالد • بـل تحدثوا عن ابطال السلطنة الزرقاء وملوك النوبه • يقول الشاعر جمـاع مصدرا احدى قصائده بما يأتى : عجيب بطل من ابطال السلطنة الزرقاء بالسودان وحد البلاد وترك دويا هائلا فى الاجيال التى أعقبته :

هنالك فى الصحراء نام مجاهـدا — توسد من احجارهـا ما توسـدا
وحيدا وفى الآفاق قـد كان جمعه — يجرد عزمـا صـارمـا ومهنـدا
تدفق فى الآفـاق شرقا ومغربـا — وصاغ من السودان قطرا موحدا (١)

ويقول الشاعر « خلف » عن جبل « سرغام » الذى شهد المعركـة الاخيرة بين الانصار والجيش الفاتح : ــ

فيـك ياسرغـام سـر — حـير الشـم الجبـالا
منـك فى القلب جـروح — لا أرى فيهـا اندمـالا
عبرة التاريـخ حقـا — عشـت اجيـالا طـوالا
تنهـب العمـر وتمضى — تشـمل القـوم اشتمالا
فيك كم سـالت دموعى — بـل دم الابطـال سـالا
تلك يا سرغـام حـرب — آه لـو كانت سجـالا (٢)

وقد حظيت العواصم العربية فى هـذه الفترة بنصـيب وافـر من اهتمام الشعراء والأدباء ولكن على أسس تختلف عن اهتمام التقليديين• فقد جعلوا من ذكر فلسطين تعلة للحديث عن السودان ، وتفرق الاحزاب وما يحيط بالجو السياسى من محن واضغان : ــ

كم فى فلسطـين موتور وثاكلة — وبائس شك فى الرحمـن وارتابـا
الدور صارت لاسرائيـل خالصة — والمـال غـودر أنفـالا واسـلابا
دهاهم ما دهانـا مـن مواعـد لا — يوفى بهـا جعلت مينـاً وكذابا (٣)

---

(١) لحظات باقية ص ٦٤ .
(٢) مجلة الفجر /١/ ص ٦٢٠ .
(٣) اصداء النيل ص ١٨٥ .

ونفس القدر من الاهتمام حظيت بـه العوالم الافريقية فمجـدوا وثبات القارة للنضال وسعيها الدائب للتحرر ، مجدوا قوادها ومناضليها. وبذلك انفتح الشعر على باب جديد صب فيه ما يعتمل بنفس الشعراء من ثورة وحقد وغضب على المستعمر : ـ

وهب مناضلا ((جومو))　　وقـال لشـعبه قومـوا
ايسـعد عندنا الأفـاك　　وابـن الغـاب محـروم
فرددها مـن الغابـات　　موتـور ومهضـوم
واشـعلها فما خمـدت　　لها وقـد وتضريـم (١)

والطبيعة كانت ملاذا لشـعراء هـذه الفترة ورواحا ، نشـدوا فى احضانها ما حرموه من جمال فى عالم الواقع ، واستمدوا ذخيرتهم مـن مناظر السودان مواكبين بذلك دعوتهم الى أدب قومى وشعر يعبر عـن محليـة البيئـة : ـ

اما رأيت بسـنكات وربوتهـا　　صفو الحياة وعيش القانع التعب
والشاهقات كساها الثلج فانبعثت　　فى أركويت تناجى السحب عن كثب
وكردفان اما شـاهدت نضرتها　　عند الخريف وقد غامت مع السحب
والباسقات من الاشجار يقصدها　　طلاب فن ومن يشكون من نصب(٢)

وشعر الحب والهوى اتسم بصفات الغزل الرومانسى بكل ما فيها من خيالات وتهويمات واستعذاب للألم مع تجرد من الحسية : ـ

أعبسى لى ففى العبـوس ابتسام　　لجمـال منـوع البسـمات
وادفعينى ففى الصـدود اقتراب　　من معـانى جمـالك الاشتـات
ايـه وادعى على دون حنـان　　فدعـاء عـلىّ منـك يواتى (٣)

كما حفل شعر هذه الفترة بنوع من الاضطراب والحيرة الفكرية ، كنتاج لانفتاح الشعراء على تيارات ثقافية جديدة ولدت فى النفوس نوعا

---

(١) حرية وجمال ص ١٠١ .
(٢) قصة قلب ص ٣٢ .
(٣) الصدى الأول ص ١٦ .

من الصراع بين الموروث من عادات وتقاليد وثقافة والمكتسب بالقراءات والمشاهدات من معارف جديدة : ــ

اشك يؤلمنى شكى وابحث عن ... برد اليقين فيفنى فيه مجهودى
اشك لا عن رضى عنى ويقتلنى ... شكى ويذبلفى وسواسهعودى (١)

ومجال الذات كان مرتعا خصبا ارتاده شعراء هذه الفترة ، وعملوا على توكيد ذواتهم المتفوقة « وكان احساسهم بأنهم على سمو من النفس لا يفضلهم فيه غيرهم ، وأنهم لن ينالوا فى الحياة ما هم أهل له وان نيهم مواهب عالية لا سبيل الى استخدامها فى عالم الواقع ، وعواطف قوية لاتجد غذاء من اكبر البواعث على ضيقهم بالحياة ضيقا أعضل داؤه » (٢) فمضوا يؤكدون هذه الحقائق ويروحون بذلك عن ذواتهم المتفوقة : ــ

صبرت على الليالى حالكات ... وذقت المرّ من سلع وصاب
وجاهدت الزمان الجهم فردا ... غنياً عن شفيع او محابى
ويكبرنى العدو اذا رآنى ... فاذ ما غبت عاج على اغتيابى
سيفنى الارذلون غدا وأبقى ... بقاء النجم والصخر الصلاب (٣)

ونخلص الى ان فترة التجديد فى هذه المرحلة جعلت شعرها صدى وتجارب لافكار ونزعات وصور مستمدة اساسا من البيئة والتراث القديم ، وان خالفت المنهج التقليدى فى طريقة بناء القصائد والاحتفال بالاساليب الانشائية • كما ضعف اهتمامهم بالصياغة جريا وراء الصور والافكار على العموم •

والرومانسية فى هذه الفترة ــ فترة التجديد ــ يمكن ان تقسم الى ثلاث اتجاهات : الاول : ويغلب عليه جانب الفكر ويعنى بالعقل والتجريدات ويمثله حمزة الملك طنبل • والثانى : يحفل بتجسيم المعانى والافكار مع الممازجه بين المحسوس والمعنوى وبه صخب وبهرج ويمثله التجانى يوسف بشير • الثالث : يعنى بالعاطفة والحب ويحمل لواءه المحجوب والتنى •

(١) اشراقه : التجانى يوسف بشير ص ٢٧ .
(٢) الرومانتيكية ص ٣٨ .
(٣) اصداء النيل .

المراجع

١ ـ الدكتور عبد الله الطيب : الاتجاهات الحديثة فى النثر العربى فى السودان . (لم يثبت اسم المطبعة وتاريخ الطبعة)

٢ ـ الدكتور عبد الله الطيب : أصداءالنيل ، دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثانية ١٩٦٠ .

٣ ـ الدكتور عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية فى السودان ، دار الثقافة للطباعة والنشر ـ الطبعة الثانية ١٩٦٧ .

٤ ـ الدكتور عبد المجيد عابدين : دراساتسودانية (لم يثبت اسم المطبعة وتاريخ الطبعة) .

٥ ـ الدكتور عبد المجيد عابدين : الشعر السودانى .

٦ ـ الاستاذ محمد أحمد محجوب والاستاذ عبدالحليم محمد : موت دنيا (لم يثبت اسم المطبعة وتاريخ الطبعة) .

٧ ـ الاستاذ محمد أحمد محجوب : الحركةالفكرية فى السودان ، المطبعة التجاريةالجديدة الخرطوم ـ الطبعة الاولى ١٩٤١ .

٨ ـ الاستاذ محمد أحمد محجوب : قصةقلب ، دار الشمال للطباعة ـ بيروت ـتاريخ الطبعة غير مثبت .

٩ ـ الاستاذ سعد الدين فوزى : من وادى عبقر ، دار الريحانى للطباعة والنشر ـ بيروت ـ تاريخ الطبعة غير مثبت .

١٠ ـ الاستاذ جعفر حامد البشير : حريةوجمال ، مطبعة جريدة الصراحة الخرطوم ـ الطبعة الاولى ١٩٥٣ .

١١ ـ الاستاذ أحمد خير : كفاح جيل ، مطبعةدار الشرق ـ الطبعة الاولى ـ التاريخ غير مثبت .

١٢ ـ الاستاذ حمزه الملك طنبل : فى الادبالسودانى ، المطبعة الرحمانية بمصر ـ الجزء الاول ١٩٢٨ .

١٣ ـ الاستاذ ادريس جماع : لحظات باقية ، دار النشر المصرية ـ الطبعة الاولى ـ التاريخ غير مثبت .

١٤ ـ الاستاذ ميخائيل سعد : شعراء السودان ، مطبعة رعمسيس بالفجالة مصر ـ التاريخ غير مثبت .

١٥ ـ الشاعر التجانى يوسف بشير : اشراقه ، دار الثقافة ـ الطبعة الخامسة ١٩٦٧ .

١٦ ـ دراسات فى شعر التجانى : دارالطباعةالافريقية ليمتد ـ الطبعة الاولى ١٩٦٢ .

١٧ ـ الدكتور محمد غنيمى هلال : الرومانتيكية .

١٨ ـ الشاعر يوسف التنى : الصدى الاول ، دار الكاتب العربى بمصر ـ الطبعة الثانية ١٩٥٥ .

دوريات

١ ـ المجموعة الكاملة لمجلة الفجر .

٢ ـ المجموعة الكاملة لمجلة النهضة .